https://doi.org/10.61353/ma.0250475

مقال مراجعة موضوع
الحياد الإيجابي والسياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٢٠
Article Review
Positive Neutrality and Iraqi Foreign Policy After 2020

للباحثان: أ.د محمد علي حمود والباحث ريبين مدحت عمر منشور في مجلة "الدراسات التطورية في الثقافة الخيالية"، شركة رايا الأكاديمية الدولية، الولايات المتحدة ، العدد 53، المجلد 8، 2024، متاح على الرابط الالكتروني: https://esiculture.com/index.php/esiculture/ /1639

م.م. فاتن عبد الستار جبار
قسم السياسية الدولية – كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين
Faten.A.Sattar@nahrainuniv.edu.iq

المقدمة

تناول الباحثين (أ.د محمد علي حمود) والباحث (ريبين مدحت عمر) في دراستهم الموسومة بعنوان " الحياد الإيجابي والسياسة الخارجية العراقية بعد عام ٢٠٢٠" المنشورة في مجلة "الدراسات التطورية في الثقافة الخيالية، شركة رايا الأكاديمية الدولية، الولايات المتحدة، مجموعة من المحاور التي تتعلق بتوجهات السياسة الخارجية العراقية لاسيما بعد عام 2020 لاسيما تبني مبدأ الحياد الايجابي كخيار استراتيجي بهدف إخراج العراق من حالة التأثر بالصراعات الإقليمية والدولية إلى دور أكثر توازنا وفاعلية كوسيط يسعى لخفض التوترات، وتوضح الدراسة تطور مفهوم الحياد تاريخياً وتمييزه عن الحياد التقليدي، إذ إن الحياد الإيجابي لا يقتصر على عدم الانحياز بل يتضمن دوراً دبلوماسياً فاعلاً في حل النزاعات، كما تبرز خصائصه مثل احترام السيادة وعدم التدخل واعتماد الحوار، وتفسر دوافع تبنيه في العراق نتيجة كثرة التدخلات الخارجية والصراعات الإقليمية وضعف الدولة بعد 2003، وتشير أيضاً إلى أهدافه المتمثلة في حماية السيادة واستقلال القرار الخارجي والابتعاد عن المحاور، مع سعي العراق للتأدية دور الوسيط الإقليمي وتحقيق التوازن بين القوى، إضافة إلى ربطه بمشاريع تنموية مثل "طريق التنمية"، وتخلص الدراسة إلى أن هذا التوجه عزز الدبلوماسية العراقية والقوة الناعمة، لكنه يعتمد على استقرار الداخل وتقوية المؤسسات ومواجهة التدخلات الخارجية للحفاظ على فعاليته (Mohammed, Omar, 2024, p170-182). وعلى غرار ذلك ستركز مراجعة هذه الدراسة على دور الحياد الايجابي للعراق لاسيما منذ العام 2020.

وتعقيباً بشكل عام حول طبيعة دراسة، فعلى الرغم من أهمية الدراسة في تناول موضوع الحياد الإيجابي بوصفه توجهاً جديداً في السياسة الخارجية العراقية بعد العام 2020، وما قدمته من عرض نظري وتاريخي متماسك للمفهوم، إلا أن الجانب التطبيقي فيها بدا محدوداً نسبياً مقارنة بالجانب الوصفي، فقد ركزت الدراسة بصورة واضحة على شرح السياقات الإقليمية والدولية المحيطة بالعراق، فضلاً عن توضيح الإطار المفاهيمي والقانوني للحياد الإيجابي، لكنها لم تتوسع بالقدر الكافي في تحليل نماذج عملية وسياسات خارجية محددة يمكن من خلالها قياس مدى نجاح العراق في تطبيق هذا المبدأ على أرض الواقع، كما أن بعض الطروحات جاءت بصيغة عامة، مثل الحديث عن "تحقيق التوازن" أو "الابتعاد عن سياسة المحاور"، دون إسنادها بشكل تفصيلي إلى مواقف دبلوماسية أو قرارات سياسية محددة. ومع ذلك، فإن هذا لا يقلل من القيمة العلمية للدراسة، بل يشير إلى إمكانية تطويرها مستقبلاً من خلال تعزيز الجانب التحليلي والتطبيقي وربط المفاهيم النظرية بحالات واقعية أكثر تفصيلاً ضمن البيئة الإقليمية والدولية المعاصرة.

وعليه، وقدر تعلق مراجعة الدراسة بدور العراق ضمن مبدأ الحياد الايجابي، اذ ذكر الباحثي "ان الحياد الايجابي هو مبدأ سياسي ودبلوماسي تتبناه الدولة تجاه طرفين او اكثر من الاطراف المتنازعة او المتحاربة، بحيث تنأى الدولة بنفسها عن الصراع ولا تتدخل فيه، الا لتقليل او حل النزاع او انهاء الحرب، دون الانحياز الى طرف على حساب طرف الاخر"، (Ibid, p.173)، وفي سياق ذلك نظرا لطبيعة منطقة الشرق الاوسط التي تشهد دائما نزاعات وتوترات ذات طابع اقليمي، ولكون العراق احد الدول التي تقع في هذه المنطقة، وانسجاما مع موقعه الجغرافي الذي يتوسط دولا اقليمية فاعلة تتباين في علاقاتها، فانه منذ العام 2003 تحول العراق الى بيئة سانحة للصراع الاقليمي، نظرا لاختلاف التوجهات والمصالح والاهداف لتلك الدول، مما جعلها في فترات متفاوتة تنخرط بصراعات لاسيما سياسية وايديولوجية الى

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

حدا ما، وابرز تلك الدول الاقليمية التي تتباين وتختلف في علاقاتها (ايران، تركيا، السعودية)(عبدالله، خلف،2016، ص56-58). وعليه فإن هذا العرض يعد مقدمة الى مراجعة دور العراق في ظل تلك النزاعات والصراعات الاقليمية، وتبنيه مبدأ الحياد الايجابي بهدف الابتعاد عن أي اضرار قد يتعرض لها جراء تلك التفاعلات النزاعية الاقليمية.

وانسجاما مع ماتم تناوله في الدراسة، لاسيما في التركيز على الحياد الايجابي للعراق، يمكن دعم الطرح الذي قدمته الدراسة من خلال التوسع في عرض الأمثلة العملية التي تعكس توجه العراق نحو تبني سياسة الحياد الإيجابي بعد العام 2020، إذ لم يعد الدور العراقي يقتصر على التفاعل مع الأزمات الإقليمية بوصفه طرفاً متأثراً بها، بل بدأ يسعى إلى أداء دور الوسيط وصاحب التوازن في المنطقة، ويُعد الدور الذي تم تأديته من قبل العراق في استضافة الحوارات بين ايران والسعودية من أبرز المؤشرات على هذا التحول، اذ وفرت العراق أرضية سياسية ودبلوماسية للحوار بين الطرفين في ظل تصاعد التوترات الإقليمية، الأمر الذي ساهم في تخفيف حدة التصعيد وتهيئة المناخ لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما في العام 2023، وقد منح هذا الدور العراق صورة أكثر توازناً في محيطه الإقليمي، وعكس محاولة السياسة الخارجية العراقية الانتقال من منطق الاصطفاف إلى منطق الوساطة والتقريب بين الأطراف المتنافسة (محمد، زيدون سلمان، 2024، ص141-143).

كما برزت ملامح الحياد الإيجابي في طريقة تعامل العراق مع التوتر القائم بين الولايات المتحدة وايران، اذ حاولت الحكومات العراقية المتعاقبة الحفاظ على علاقات متوازنة مع الطرفين، مع تجنب تحويل العراق إلى ساحة مواجهة مباشرة بينهما، لاسيما بعد تصاعد التوترات الأمنية داخل الأراضي العراقية، وقد اتضح ذلك من خلال الخطاب الرسمي العراقي الذي ركز بصورة متكررة على احترام السيادة الوطنية ورفض استخدام الأراضي العراقية لتصفية الحسابات الإقليمية والدولية، بالتوازي مع استمرار التعاون الأمني والاقتصادي مع مختلف الأطراف دون الانحياز الكامل لأي محور(Ravid, 2023).

وفي الجانب الاقتصادي والاستراتيجي، اتجه العراق إلى توسيع شبكة علاقاته الإقليمية والدولية بطريقة تعكس سياسة الانفتاح المتوازن، إذ عمل على تعزيز التعاون مع دول الخليج العربي في مجالات الطاقة والاستثمار والربط الكهربائي، وفي الوقت نفسه حافظ على علاقاته الاقتصادية والتجارية مع إيران وتركيا، كما يُعد مشروع "طريق التنمية" أحد المؤشرات المهمة على سعي العراق إلى توظيف موقعه الجغرافي بوصفه حلقة وصل إقليمية بين الخليج وتركيا وأوروبا، بما يعزز دوره الاقتصادي والسياسي بعيداً عن منطق الصراع والمحاور المغلقة(Azhari, Mills, 2024).

إضافة إلى ذلك، حاول العراق تبني خطاب دبلوماسي أكثر هدوء ومرونة تجاه الأزمات الإقليمية، سواء فيما يتعلق بالأزمة السورية أو الحرب الروسية الأوكرانية أو التوترات في المنطقة(Ramani, 2022) (وزارة الخارجية العراقية، 2023)، إذ اتسمت مواقفه بالسعي إلى تجنب التصعيد والدعوة إلى الحلول السياسية والحوار، وهذا يعكس تحولاً نسبياً في طبيعة السياسة الخارجية العراقية من سياسة يغلب عليها التأثر بالمتغيرات الخارجية إلى سياسة تحاول بناء مساحة من التوازن والحركة المستقلة بما ينسجم مع مفهوم الحياد الإيجابي ومقتضيات المصلحة الوطنية العراقية.

ومع ذلك، ان دور العراق ضمن مبدأ الحياد الايجابي كان واضحاً، اذ ينطلق من مسألة في غاية الاهمية وهي تجنب التحالفات الاقليمية والنزاعات والصراعات، وهذا ماتم ذكره في الدراسة، اذ أنها أولت اهتماماً واضحاً لفكرة تجنب العراق الانخراط في التحالفات الإقليمية والصراعات المحورية بعد عام 2020، إذ نجحت الدراسة في ربط هذا التوجه بالتحولات التي شهدتها البيئة الإقليمية والدولية، فضلاً عن ارتباطه المباشر بالمصلحة الوطنية العراقية، وقد كان طرح الباحثين موفقاً في الإشارة إلى أن العراق، بعد سنوات طويلة من الحروب والتجاذبات الإقليمية، أصبح أكثر ميلاً إلى تبني سياسة تقوم على التوازن والانفتاح المتوازي بدلاً من الاصطفاف ضمن محاور متنافسة، لاسيما في ظل احتدام التنافس بين القوى الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط، كما أن الدراسة أصابت في تأكيدها أن الابتعاد عن سياسة الأحلاف والصراعات لم يعد خياراً دبلوماسياً فحسب، بل أصبح ضرورة سياسية وأمنية واقتصادية لحماية الاستقرار الداخلي العراقي ومنع تحويل العراق إلى ساحة تصفية حسابات إقليمية (Mohammed, Omar, Op. Cit, p.180).

وفي ضوء ماتقدم، وبهدف اظهار واقعيا كيف ومتى بدء العراق يؤسس سياسة خارجية قائمة على نهج الحياد الايجابي في التعامل مع تفاعلات المنطقة، فضلا عن تدعيم الدراسة، لذا لابد من الاشارة الى امر في غاية الاهمية، اذ بدأت السياسة الخارجية العراقية بالاتجاه

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

تدريجيا نحو ما يمكن تسميته بالحياد الإيجابي لاسيما بعد العام 2003، إلا أن هذا النهج لم يتبلور كسياسة واضحة ومؤسسية إلا في مراحل لاحقة من تطور الدولة العراقية، اذ اتسمت السنوات الأولى بعد العام 2003 بتأثير كبير للبيئة الإقليمية والدولية على القرار العراقي، مما حدّ من قدرة العراق على تبني سياسة خارجية مستقلة ومتوازنة بشكل كامل، ومع تصاعد التحديات الأمنية والسياسية لاسيما بعد العام 2014، اتجه العراق نحو مقاربة أكثر براغماتية تقوم على تجنب الانخراط في المحاور الإقليمية، والعمل على إدارة العلاقات مع مختلف الأطراف وفق مبدأ التوازن والمصلحة الوطنية، كما تعزز هذا التوجه بشكل أوضح بين عامي (2018 –2022)، اذ اعتمد العراق خطاب "التوازن الإقليمي" وسعى إلى تأدية دور الوسيط في بعض الملفات الإقليمية، بما يعكس انتقال السياسة الخارجية من التفاعل المنحاز أو المتأثر إلى سياسة أكثر مرونة واستقلالية نسبية، ويقوم هذا النهج على تقليل حدة الاستقطاب الإقليمي، وتوسيع مساحة الحركة الدبلوماسية، بما ينسجم مع متطلبات الاستقرار الداخلي، وبذلك فإن الحياد الإيجابي في الحالة العراقية يفهم كخيار عملي يهدف إلى تحقيق التوازن في العلاقات الخارجية دون الانخراط في سياسات المحاور. (Ravid, Op. Cit).

الخاتمة والاستنتاجات:

في ضوء ما تم تناوله في هذه المراجعة، يتضح أن دراسة "الحياد الإيجابي والسياسة الخارجية العراقية بعد العام 2020" قدمت معالجة مهمة لمفهوم الحياد الإيجابي بوصفه إطارا تفسيريا لفهم التحولات في السلوك الدبلوماسي العراقي، لاسيما في بيئة إقليمية تتسم بالاستقطاب والتنافس الحاد، وقد أظهرت الدراسة قدرة واضحة على ربط تطور هذا المفهوم بالسياقات السياسية والأمنية التي مرّ بها العراق، مع التركيز على انتقاله من موقع التفاعل السلبي مع الأزمات إلى محاولة بناء دور أكثر فاعلية يقوم على التوازن والوساطة.

وتخلص هذه المراجعة إلى جملة من الاستنتاجات، أبرزها:

1. أن الحياد الإيجابي في الحالة العراقية لا يعد موقفا انعزاليا أو حيادا تقليديا، بل يمثل استراتيجية ديناميكية تهدف إلى إدارة العلاقات الخارجية بطريقة تقلل من مخاطر الانخراط في الصراعات الإقليمية، وتعزز في الوقت نفسه من هامش الحركة الدبلوماسية للعراق، كما يتبين أن هذا التوجه ارتبط بشكل وثيق بتغيرات بنيوية داخل النظام الإقليمي بعد العام 2003، وبتزايد الحاجة إلى حماية الاستقرار الداخلي في ظل بيئة إقليمية غير مستقرة.
2. أن نجاح هذا النهج يبقى مرتبطا بقدرة الدولة العراقية على تعزيز مؤسساتها الداخلية وتماسك قرارها السياسي، لأن ضعف البنية الداخلية يحدّ من فاعلية أي سياسة خارجية قائمة على التوازن.
3. إن الحياد الإيجابي في العراق يمثل مسارا تطوريا مفتوحا أكثر من كونه نموذج مكتمل، ما يجعله قابل للتعزيز أو التراجع تبعاً لتغيرات البيئة الإقليمية والدولية

المصادر

1. عبدالله، عبدالجبار احمد، خلف، حسين مزهر، 2019، الدور الاقليمي العراقي المنتظر، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العراق، العدد 51.
2. محمد، زيدون سلمان، 2024، التقارب الايراني– السعودي بعد عام 2023 وانعكاساته الاقليمية: العراق انموذجا، المجلة العراقية للعلوم السياسية، الجمعية العراقية للعلوم السياسية، العراق، العدد11.
3. خيارات العراق للتعامل مع الوضع الانتقالي في سوريا، 2023، وزارة الخارجية العراقية. /https://mofa.gov.iq/2024/52872
4. Mohammed, Ali Hammond, Omar, Rebin Madhad, 2024, Positive Neutrality and Iraqi Foreign Policy After 2020, Studies in Imaginative Culture (ESIC), USA.
5. Ramani, Samuel, 2022, What does Russia's war in Ukraine mean for Iraq, Middle East Institute (MEI). https://mei.edu/publication/what-does-russias-war-ukraine-mean-iraq /

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

.6 Ravid, Barak, 2023, Senior Biden official visits Iraq as U.S. and Iran vie for political influence, Axios Media Inc. https://www.axios.com/2023/01/18/mcgurk-iraq-iran-political-influence

.7 Azhari, Timour & Mills, Andrew, 2024, Gulf Arab states test waters with Iraq investment, Reuters. https://www.reuters.com/world/middle-east/gulf-arab-states-test-waters-with-iraq-investment-2024-04-03 /

مجلة المعهد، مجلة علمية محكمة مفتوحة المصدر، ذات الرقم المعياري (ISSN 2518-5519) و(eISSN 3005-3587)
هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0